وكان الطحال هو السبب

حاتم نصر فريد

لا أدرى لماذا .. هل كان انتشار مرض شاه إيران السابق بتلك الصورة الرهيبة التى بدا عليها بعد فترة قصيرة من ذلك الهروب العظيم من الموت ، بعد أن ضاقت به الأرض ، وحاصره الخوف ، وطاردته الفزع من كل جانب ..

هل كان ذلك مجرد تطور للحالة المرضية نتيجة إصابته بسرطان الغدد الليمفاوية عام ١٩٧٣ ؟ ربما !!

هل كان ذلك ترتيب قدر لتأكيد آية إلهية عظمى ، هى قوله تعالى : « ماأغنى عنه ماله وما كسب » ؟ من يدرى ؟!

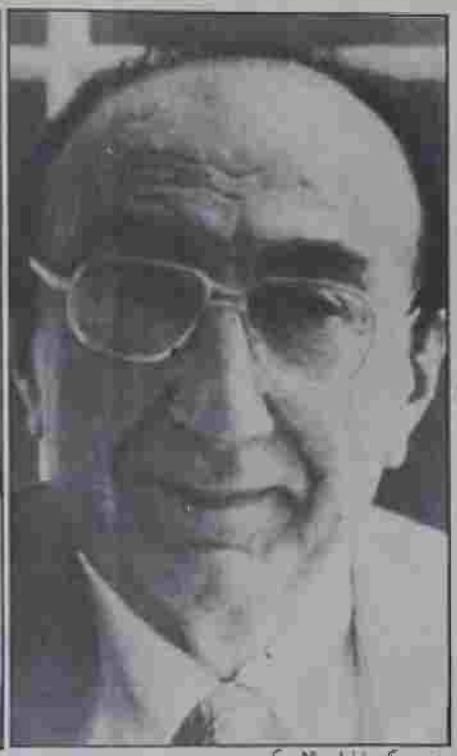

د. ديكى الجراح الامريكى

د. محمد المخزنجى الجراح المصرى

لقد انطلق شاه إيران السابق هاربا من اهدافه . هاربا حول نفسه سياجا حديديا من الأمن لصد الموت . والغريب – بل المثير – ان الموت الحقيق كان معه .. بجسمه .. فى أعمق أعماقه .. فى كريات دمه الحمراء .. فى جهازه الليمفاوى .. فى كبده .. فى طحاله .. !

إنها قصة مثيرة حقا .. أقرب إلى ذلك النوع من الأدب الذى يمتزج فيه الواقع بالخيال .. فى اطار درامى تحرك أحداثه وتصنعها مفارقات قدرية غريبة ..

ولنذهب مع القصة من بدايتها ..

كانت البداية فى سنة ١٩٧٣ وكان وقتها يحكم إيران . وعلى رأسه أكبر الديجان الباهرة فى هذا العصر . عندما اصيب بسرطان الغدد الليمفاوية . وشخصه الدكتور الفرنسى جورج فلاتترين اخصائى أمراض الأورام والغدد الليمفاوية وسرطان الدم . وظل يعالج من هذا المرض فى صمت وهدوء دون أن يعلم بحقيقة هذا المرض سوى أقرب الناس إليه .

ومضت سنوات .. وخرج الشاه من إيران . وسقط أول تاج .. تاج الملك .. وبدأ التاج الثانى يتأرجح .. تاج الصحة .. بل لعله تاج الحياة ذاتها .

رحلة إلى الموت

ازدادت بعد ذلك حالة الشاه سوءا بشكل كبير . وامتد نشاط السرطان إلى الغدد الليمفاوية بصورة متزايدة . وفى « كوريل » بالولايات المتحدة أجريت له أول جراحة بعد خروجه من إيران . وبرغم أن هذه الجراحة كانت لاستئصال المرارة . فإنها أوضحت بصورة بالغة خطورة حالة الشاه الصحية ..

وسرطان مانوالت بعد ذلك العمليات الجراحية . عندما ظهرت أورام سرطانية على جانبى الرقبة . وكان لابد من استئصالها

وعندما جاء الشاه إلى مصر . وضع تحت رعاية مركزة للغاية بفريق من أكبر الأطباء المصريين الذين هم نجمة عملية رعاية باهرة . ومن هؤلاء الأطباء المصريين الذين كان لهم دور بارز الدكتور محمد المخزنجى استاذ الباثولوجى المساعد بكلية طب الأزهر ومستشفى التحاليل الباثولوجية بمستشفى القوات المسلحة بالمعادى . وهو حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة لندن سنة ١٩٧٠ . وبعد أن عمل لمدة سنة مستشارا بمستشفى تشارنج كروس لتحاليل امراض الروماتيزم والكلى بالاضافة إلى الأورام . عاد بعد ذلك إلى مصر .

يقول الدكتور محمد المخزنجى :

إنه بعد وصول الشاه إلى مصر وإجراء العديد من الفحوص والتحاليل المختلفة تقرر إجراء عملية استئصال الطحال الذى وصل حجمه إلى عشرة أمثال الحجم الطبيعى . وأصبح أداة ثابتة للحسم نتيجة تكسيره لكريات الدم الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية . فقد فقد لاحظ العالم من صور الشاه فى الصحافة وفى التليفزيون أنه يعانى من ضعف شديد نتيجة الأنيميا الحادة . وظل الفريق الطبى يعمل على نقل الدم لتعويض تركيب دم الشاه . ووجد أن فصيلة دمه نادرة – لاتتعدى واحدا فى المليون – حيث إنه من فصيلة « ب » السالبة . أو مايعرف طبيا بـ RH سالب . بينما القاعدة أن معظم الرجال يكون RH بالنسبة لهم موجبا

وبعد عملية مسح شامل لعدد كبير من المطاعين والمطاعات وجدت النعجة النادرة . وأعطى الشاه جرعات مناسبة من الدم الطازج . فتحسنت حالة الشاه نسبيا . ثم اجريت عملية استئصال الطحال بعد ذلك . وهي العملية التي قام بها فريق الجراحة والتخدير الأمريكي برئاسة الدكتور ميشيل ديبكي .

ويستطرد الدكتور محمد المغربي :

إنه في الوقت الذي كانت تجري فيه العملية للشاه . وكانت زوجته وافراد اسرته يتابعون خطوات العملية في نفس اللحظة من خلال دائرة تليفزيونية . كان أطباء المعمل في حالة طوارىء . وكانوا يقومون بالعديد من التحاليل البكتريولوجية والباثولوجية لتحديد نوع المرض ودرجة تقدمه .

ثم جاء أحد أطباء التخدير الأمريكيين بحمل الطحال الذي وضع في وعاء معقم للفحص . والغريب أنني فوجئت - مع الأطباء الأمريكيين والمصريين - بشاب يرتدي بدلة جينز . ويحمل في يده كاميرا يصور بها كل خطوات العمل الذي نقوم به . ويسأل عن أدق التفاصيل . ثم يصور الطحال في أوضاع عديدة مختلفة . وعندما تعجبت كيف دخل هذا الشاب عرفت أنه ابن الشاه . الذي كان يتابع الحديث مع الأطباء الأمريكيين عن حالة والده الخطيرة . بل كان يشارك في الحوار ويسأل عن كل شيء بشكل عادي جدا دون أي انفعال .

لما وزن الطحال فوجدناه ١٩٥٠ جراما أي مايعادل عشرة أمثال وزن الطحال الطبيعي - وزن الطحال الطبيعي يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ جرام - ثم قمنا بتصويره من جميع الاتجاهات . ثم قطعناه إلى نصفين . وقد تبين لنا بالعين المجردة وجود بؤر تختلف لونها عن لون الطحال الطبيعي . وهي اماكن انتشار السرطان . وعن طريق جهاز للتبريد العميق اسمه «كريوستات» . تم عمل قطاعات ميكروسكوبية عديدة للطحال . وتم صبغها وفحصها تحت الميكروسكوب . وتقدم نتائج هذا التحليل السريع لطحال الشاه في خلال فترة قصيرة لم تتجاوز عشر دقائق . بينما التحليل بالطرق العادية يستغرق ٤٨ ساعة . وكانت نتيجة التحليل ان سرطان الغدد الليمفاوية امتد إلى الطحال .

وصلت مع الطحال عينة صغيرة من الكبد ايضا . وقمنا بفحصها بنفس الطريقة . ووجدنا ان السرطان قد وصل اليها أيضا . وأنه في المرحلة الرابعة والأخيرة . وهي أخطر المراحل . وقد لاحظنا وكتبنا في التقرير الطبي . أنه أثناء الفحص الميكروسكوبي للطحال والعقد الليمفاوية . وجود أجزاء من جسم البكتريا داخل بعض الخلايا السرطانية . ويبدو أن هذه الأجزاء دخلت إلى الخلايا السرطانية أثناء استئصال الطحال . حيث ان البكتريا تصل بسرعة إلى الدم بعد استئصال الطحال . وهذا يفسر ماحدث للشاه بعد ذلك . حيث إن حالته الصحية بعد أن تحسنت إلى حد كبير بعد العملية . فجأة ارتفعت الحرارة . وظهرت صعوبة في التنفس وحدث رشح بقوي في منطقة الصدر الذي وجد أنه تجمع صديدي لم يتجاوب مع العلاج بالمضادات الحيوية للميكروبات . ثم ثبت بعد ذلك أن هذا الرشح هو امتداد من الخراج الخارجي عن طريق الرئة . نتيجة حدوث ثقب في البكتريا - أثناء استئصال الطحال - أدى إلى حدوث جرعة في البكتريا انتقل إليها ميكروب الستافيلا وانتشر في الأجزاء المحيطة وامتد إلى منطقة أسفل الرئة اليسرى وأحدث رشحا .

□□ قلت للدكتور محمد المغربي : وهل اشترك الأطباء الأمريكيون في اجراء هذه التحاليل الدقيقة ؟

قال د. المغربي :

لقد حضر معنا أحد الأساتذة الأمريكيين وهو متخصص في التحاليل الباثولوجية . وتابع العمل مع باقي زملائه باهتمام شديد . وبعد أن قدمت اليهم نتائج التحليل الدقيقة في هذا الوقت القياسي . التفت إليّ هذا الأستاذ الأمريكي الكبير قائلا : لقد قمت بعمل رائع حقا . وللأسف الشديد فليس معي هدايا أقدمها لك سوى هذا السيجار

وفي الأيام التالية حضر جميع الأطباء الأمريكيين والفرنسيين وفحصوا الشرائح . وأقروا التشخيص الذي وضعه مع زميل الدكتور محمد حسن البقلي . كما أن الشهباء طلبت إرسال الشرائح إلى فرنسا لفحصها . حيث عولج الشاه أول مرة عند ظهور المرض . وجاءت النتائج مطابقة تماما لما قررناه . بعد ذلك حدد الأطباء العلاج المناسب لحالة الشاه : وهو العلاج الكيماوي

علاجان ضروريان ومتعارضان والنتيجة : الموت

□□ قلت للدكتور محمد المغربي : ماهو تقييمك لحالة الشاه المرضية . بعد هذه الرحلة الوعرة المثيرة ؟

قال الدكتور المغربي :

الشاه أصيب في البداية بسرطان الغدد الليمفاوية وهو مايعرف علميا باسم Histiocytic Lymphoma والغدد الليمفاوية موجودة في جميع أجزاء الجسم المختلفة . في الرقبة وتحت الإبط وداخل التجويف الصدري والبطن وحول الأجهزة التناسلية وعادة يبدأ السرطان في عدة من هذه الغدد حيث تكبر وتلتهب وترتفع في درجة حرارة الجسم أو وجود ألم موضعي في الغدد المتضخمة - وربما لايشعر المريض بأي ألم سوى ظهور تضخم بالغدة . وإذا خاف المريض للطبيب في هذه المرحلة المبكرة وشك الخراج في وجود سرطان . فيجب أن تجرى جراحة يقطع فيها الغدة كاملة ويرسلها للمعمل الباثولوجي للتحص الميكروسكوبي لرفع التشخيص النهائي . حيث

وهذه هي الخلايا المصابة بالسرطان والتي صورها د. المغربي .

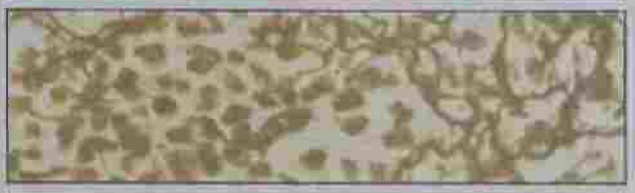

صور أخرى للقطع لاستئصال الخلايا السرطانية في الطحال .

تضخم واضح جدا في الطحال . ومن هذا العضو الخطر استشرى المرض . ويقال إن الجراح الأمريكي عندما قطع الطحال قد قطع جانبا من البكتريا ؟ !

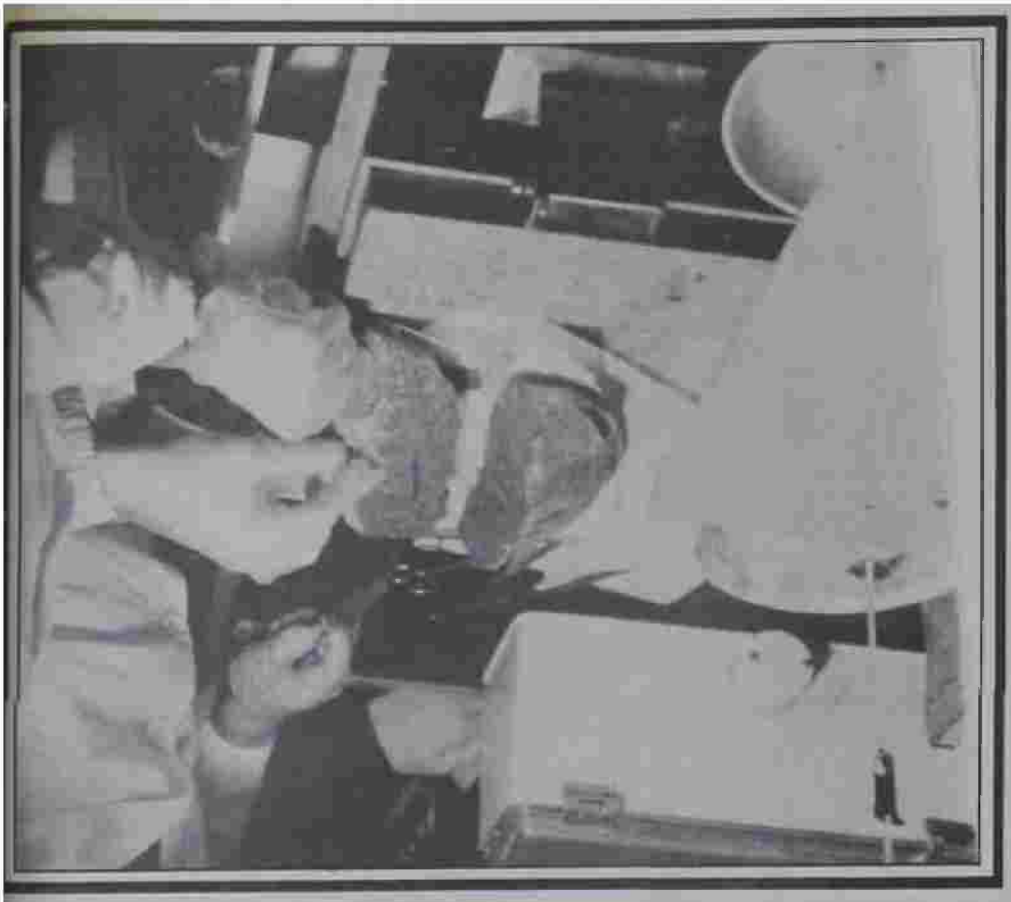

إن سرطان الغدد الليمفاوية ينقسم تحت الميكروسكوب الباثولوجي إلى عدة أنواع ، وكل نوع يختلف عن النوع الآخر في طريقة العلاج وتجاوب المريض مع نوعية العلاج ومدى خطورة كل نوع في تقييم مآلية للمريض من عمر . حتى النوع الواحد تمكن الأطباء الفرنسيون والأمريكيون من تقسيمه إلى مراحل حسب انتشار المرض في جسم المريض وهذه المراحل هي مرحلة أولى وثانية وثالثة ورابعة والمرحلة الرابعة هي أخطر المراحل . وهي التي وصل إليها الشاه طوال الفترة الأخيرة بعد أن انتشر المرض من الغدد المصابة التي كانت في الرقبة عام ١٩٧٣ حتى وصل الطحال والكبد .

وتحديد نوع الإصابة ودرجتها يحتاج إلى أخذ عينات من هذه الأعضاء ومن نخاع العظام وإرسالها إلى المعمل الباثولوجي لفحصها بالميكروسكوب وتحديد التشخيص السليم الذي سيعتمد عليه بعد ذلك أطباء المريض العلاج المطلوب بناء على التحليل الباثولوجي . وكما ذكرنا فإن الجراحة تستخدم في تقييم المرض مبدئيا ، حيث تزعد إحدى هذه الغدد وترسل للمعمل . أما أساس علاج هذا المرض فهو الأشعة العميقة والأدوية الكيماوية المضادة للسرطان .

وإذا اكتشف المرض مبكرا ، فإن نسبة الشفاء من المرض تكون مرتفعة . وفي هذه الحالة يعطي المريض العلاج الكيماوي الذي هو خليط من أدوية مختلفة تقتل الخلايا السرطانية التي تتقاسم بسرعة كبيرة . ولكن العلاج الكيماوي يهاجم في الوقت نفسه باقي خلايا الجسم السليمة مثل خلايا الغشاء المبطن للجهاز الهضمي والنخاع العظمي الذي يكون عناصر الدم وهي الكرات الدموية الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية المسئولة عن إيقاف أي تريف داخلي أو خارجي . ولذلك فمع العلاج الكيماوي يجب عمل تحاليل دم مستمرة ، حتى يتجنب الانخفاض الشديد في كرات الدم البيضاء التي تلعب دورا هاما في اعطاء المناعة للجسم من الميكروبات المحيطة بالمريض أو التي تتعايش معه ثم تتطلب إلى فجأة وشرسة في حالة ضعف المقاومة والمناعة فتؤدي إلى التهاب رئوي في الصدر أو التهاب في المجاري البولية مما يؤدي إلى فشل كلوي قاتل . والالتهاب الرئوي يمكن تشخيصه أثناء العلاج بارتفاع درجة الحرارة للمريض وصعوبة في التنفس مع عمل أشعة للصدر . كذلك يؤثر العلاج الكيماوي في الصفائح الدموية والمعروف أن الصفائح الدموية مسئولة عن لحظ الدم إذا أصيب المريض بأي جرح أو أجريت له عملية جراحية . لذلك يجب قبل إجراء العملية دراسة عدد هذه الصفائح . وإذا كانت قليلة يجب تعويضها للمريض قبل التدخل الجراحي . كذلك يوجد نقص في كرات الدم الحمراء تمايؤدي إلى أنيميا ويمكن معرفة ذلك بتحاليل الهيموجلوبين في الدم . وفي هذه الحالة يتحتم نقل دم طازج أو كرات دم متجمعة بطريقة معينة .

وخلال ذلك فقد عانى الشاه في المرحلة الأخيرة من أخطار استخدام العلاج الكيماوي ، والذي يشمل أدوية هنا خاصة قتل الخلايا السرطانية التي تتكاثر بسرعة ، ولكنها في نفس الوقت تؤثر على بقية خلايا الجسم السليمة وأهمها الكرات الدموية البيضاء التي تمثل أهم وسائل الدفاع الطبيعية داخل الجسم ضد أي ميكروب خارجي أو داخلي يتعايش مع الجسم . فعند ضعف المقاومة تصبح هذه الميكروبات شرسة وتصيب الجسم بأمراض خطيرة ، وفي هذه الحالة يضطر الأطباء لوقف العلاج الكيماوي لزيادة المقاومة الطبيعية وعلاج الميكروبات المنتشرة في الدم بالمضادات الحيوية . غير أن توقف العلاج الكيماوي كان يعرض الشاه لهبوط شديد وضعف عام بالإضافة إلى زيادة نشاط سرطان الغدد الليمفاوية . وهكذا تعارض العلاج الأول ، وهو علاج سرطان الغدد الليمفاوية ، مع العلاج الثاني وهو علاج ضعف مقاومة الجسم وانتشار الميكروبات في الدم وكانت النتيجة هي الألم والعذاب ثم ... الموت !

□ □

وتتابع المشاهد الأخيرة في تلك الملحمة الرهيبة .. ملحمة صراع الموت مع الألم من أجل التاج الأخير تاج الحياة ذاتها .. ولكنه يتأرجح هو الآخر ، ويسقط لينهي المشهد الأخير ويسدل الستار .

.. وبدأت رحلة الموت من ربع قرن

● في ٩ ديسمبر سنة ١٩٥٤ دخل الشاه لأول مرة المستشفى في نيويورك بعد شعوره بتضخم في الغدد الليمفاوية في الرقبة وتحت الإبط .

● في ٢٢ مارس سنة ١٩٥٨ ، أصيب الشاه بانهيار عصبي ، وقرر الأطباء منحه راحة ، مع إرسال مئات كبيرة من السرية على علاجه ، ومنعت المصادر المسئولة بالقصر الامبراطوري صدور أية نشرات طبية عن حالة الشاه .

● في شهر فبراير سنة ١٩٦٤ ، استدعى أكبر اخصائي الأمراض الباطنية لفرنسا فيا للإشراف على علاج الشاه ، وأخذت الأنباء تتسرب لأول مرة عن إصابته بأمراض خبيثة .

● في ٢٥ يناير سنة ١٩٦٦ سافر الشاه إلى فيا للاستجمام وإجراء بعض الفحوص الطبية .

● في سنة ١٩٧٣ قام طبيب فرنسي كبير اخصائي أمراض الأورام الغدد الليمفاوية والسرطانية بالإشراف على علاجه .

● في ٢٤ يوليو سنة ١٩٧٩ دخل الشاه مستشفى كورنيل ميديكال سنتر نيويورك للعلاج ، وأعلن القصر الملكي عن اصابته بالسرطان ، وأن السرطان ينتشر بصورة كبيرة في أنحاء جسمه .

● في ٢٤ مارس سنة ١٩٨٠ دخل الشاه مستشفى المعادي استعدادا لإجراء عملية استئصال الطحال بعد تضخمه بصورة كبيرة نتيجة إصابته بالسرطان .

● في ٢٦ مايو سنة ١٩٨٠ أجريت جراحة متكررة وحديثة لعلاج جراح تحت الحجاب الحاجز الأيسر ، بعد انتشار الميكروبات في جسم الشاه نتيجة للعلاج الكيماوي لمقاومة سرطان الغدد الليمفاوية .

● في ٢٦ يوليو سنة ١٩٨٠ أصيب الشاه بصدمة دورية نتيجة المضاعفات السابقة ، وأجريت له الاسعافات الطبية المركزة ولكن حالته تدهورت .

● في الساعة التاسعة و٥٠ دقيقة من صباح الأحد ٢٧ يوليو سنة ١٩٨٠ ، انتقل الشاه إلى رحاب الله .

● وقد أجريت للشاه خلال السنة الأخيرة سبع جراحات ، أربع منها أجريت خلال ٩٠ يوما فقط ، كما أجريت له قبل وصوله إلى مصر ٤٠ صورة أشعة للصدر والحجاب الحاجز ، و٢٢ عملية نقل دم طازجا من فصيلته النادرة و٥٢ كيلوا للدم والبول .